ترجمة فارسية جديدة للقرآن

بقلم علي القمامي

وصلتنا من طهران مؤخرا ترجمة فارسية جديدة للقرآن قام بها احد المترجمين الادباء المعروفين (ابو قاسم بايندە) الذي سبق له ان ترجم كثيرا من الكتب العربية الى اللغة الفارسية وفي مقدمتها كتاب سيرة محمد لمحمد حسين هيكل الذي اعيد نشره اخيرا في الطبعة السادسة لـــه . وكذلك مجموعة مختارة من الاحاديث والكلمات القصار والمأثورة عن النبي (ص) من مصادر معتبره موثوق بها تحت اسم (نهج الفصاحة) .

ولقد وقفت امام هذه الترجمة ، قبل ان اتصفحها ، حائرا .. فترجمة القرآن ليست بالامر الهين ، السهل ، الذي يقدم عليه مترجم اديـب مهما يكن معروفا أو ذا أصالة واتقان في عمله ..

وليس فينا من ينسى الجدل الطويل العريض ، الخلاف البالـغ حد الخصومة الذي اثير قديما حول جواز ترجمة القرآن المجيد بين علماء المذهب الحنفى الذين ذهبوا الى جواز ذلك (النفحة القدسية في جواز قراءة القرآن بالفارسية : للشيخ حسـن بن عمار الشرنبلالي) ومخالفيهم من المذاهب الاخرى ، ولا الضجة الاخيرة التي قامت في مصر منذ سنوات ولما تنته بعد بين علماء الازهر والادباء والمجددين (الشيخ محمد سليمان قاضي المحكمة الشرعية العليا في مصر : حدث الاحداث في الاسلام ومحمد فريد وجدي : القول السديد في جواز ترجمة القرآن المجيد .)

ان القرآن معجزة النبي العربي الكبرى .. في معنـاه وفي لفظـه، انه المصدر الاكبر الذي ترجع اليه المقاييس البلاغية في اللغة العربية .. ولكنه ، مع ذلك ، وفي موازاة ذلك ، منبع للثقافة العربية والشرقيـة ومصدر للدراسة الاجتماعية والخلقية واكبر مرجع لمعرفة الذات العربية والاسلامية .

فهل ترى تغني صيانة الفاظه البليغه من احتمال الجرح عند الترجمة عن امكان تسريب فيضه العميم الى اللغات الاخرى ؟

لقد كان من دأب المصلح الاسلامي الكبير السيد جمال الدين الافغاني وهو من ابناء اللغة الفارسية والادباء المبرزين فيها ان يشفق كثيرا مـن ترجمة القرآن اليها . وكان يستدل كثيرا باية (والتين والزيتون وطورسنين) ويرى ان ترجمتها الفارسية لا شك ستكون شيئا تافها لا روعة فيه ..

وظهرت قبل اليوم ترجمات فارسية اشهرها حرفية سطرية .. هي من الضحالة والجفاف بمكان . والذي يزيد في ضحالتها واصطناعها انها لا تقرأ ككل بذاتها . بل تقرأ كما شاء لها الناس لاعطاء المعنى للمفردات العربية التي تنتصب في السطور الاصلية فوقها . فالقارىء الايراني عليه ان يقرأ النص العربي الذي يتبرك بقراءته ولا يفهمه ، ثم يعود الى المقابل الفارسي تحت السطر ، بل تحت اللفظة بالذات ، ليستهدي بالمعنى الضيق المبتور لتلك اللفظة اذا اراد . وليس للمسلم الايراني ان يفهم المعنى العام وان يستمتع بروعة الاثر الادبي ككل تام في القـرآن ..

انه يكتفي بالبركة من قراءة النص حسب ولا تفيده قراءة السطر الفارسي بشيء غير اعطاء المعاني الضيقة للمفردات .. فليس السطر الفارسي مجموعة من كلمات نضدت على خلاف النسق المألوف في ترتيب الجملة الفارسية الاصيل .. ولما كانت طبيعة الجملة الفعلية في اللغة العـربية ان تبدأ بالفعل وبعكسها الجملة في اللغة الفارسية التي تنتهي عـادة بالفعل ، فتصور كيف تكون مطابقة الترجمة السطرية اذا اعتمد المترجم ان يقلب تركيب الجملة الفارسية فيصطنع النسق العربي في تقديم الفعل على سائر اجزاء الجملة .. ويبدو ذلك واضحا في افتراض العكس . فتصور جملة فيها الفعل في ذيل سلسلة طويلة متداخلة من الاسمـاء والصفات والظروف وادوات الاستفهام وتدبر ..

هذا علاوة على ما قد تجر ءمحاولة المترجم ـ خاصة اذا كان متزمتا ـ في مقابلة كل لفظة باللفظة المقابلة لها ، لاسيما وان اللفظة في ايما جانب من جانبي الترجمة قد تحمل منالمعاني ما هو اكثر شيوعا في اللغـة مما تعترف به لها المعاجمعادة..

واخرجت من رف الكتب في غرفتي ـ وانا لا ازال حائرا ـ ترجمـة انكليزية حديثة للقرآن اقتنيتها من لندن في صيف عام ١٩٥٦ . وبدأت اتصفحها هنا وهناك على غير قصد في قراءتها وها انا ذا أنقل سورة الفاتحة بالنص الانكليزي للمترجم (ن.ج. داود) (N.J. DAWOOD)

THE EXORDIUM

In the Name of Allah, the Compassinate, the Merciful.
Praise be to Allah, Lord of the Creation, the Compassinate, the Merciful, King of the Last judgement !

You alone we worship, and to you alone we pray for help.

Guide us to the straight path, the path of those whom You have favoured, Not of those who have incurred Your wrath, Nor of those who have gone astray.

وهذه ترجمة اخرى (تفسيرية) لمحمد مارمادوك بيكتال :
Mohammed Marmaduke Pickthall.

لنفس سورة الفاتحة ، انقلها هنا للمقارنة :

THE OPENING

In the Name of Allah, the Beneficent, the Merciful.
Praise be to Allah, Lord of the Worlds.
The Beneficent, the Merciful.
Owner of the Day of judgement.
Thee (alone) we worship; Thee (alone) we ask for help.
Show us the straight path,
The path of those whom Thou hast favoured;
Not (the path) of those who earn Thine anger nor of those who go astray.

يقول المترجم الاول (ن.ج. داود) انه ترجم القرآن الى لغة انكليزية

Modern

ويقول الثاني انه ترجمها ترجمة تفسيرية .. ولعمري ان الاثنين قد تجاوزا كثيرا عن النص . ولو ان ترجمتاهما سلمتا من كثير من الاخطاء (ترجمة داود خاصة) لما فاتهما كثير من الروعة . انظر الى ترجمة (داود) للاية الرابعة والعشرين من سورة الرحمن : (وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام)

This are the ships that sail like banners upon the ocean.

وفيها غلطة مضحكة مما يقع فيه اطفال المدارس . فقد ترجم (الاعلام) بالمعنى الاكثر شيوعا للكلمة الى (رايات) ، ولم يسأل نفسه ما معنى ان تكون السفن كالرايات ؟ ولعمري انه لو سمع التعبير المعروف (علم في رأسه نار) لتحدث عن راية جيش او كشافة فوق عمودها الخشبي شعلة من نار .

وكذلك ترجم الاية انفة الذكر مارمادوك :

These are the ships displayed upon the sea, like banners.

ولكنه استدرك في الحاشية وذكر (الجبال)

وبقيت في حيرتي امام الترجمة الفارسية الجديدة .. وامام الترجمة بصورة عامة .. وتذكرت رأيا للدكتور طه حسين ورهط من الكتاب والادباء ورجال الازهر المصريين في النزوع الى تعيين جهة ذات اختصاص لمناقشة موضوع الترجمة ودراسة الظروف والامكانيات للقيام بترجمة واسعة جامعة الى اللغات الحية تقوم كلها على اسس من التفسير يتفق عليها مسبقا ، ويخول اليها (الجهة المختصة) انحصارا ، حق ترجمة القرآن.

وما زالت دراسة هذه الظروف والامكانيات ، وتعيين الجهة ذات الاختصاص جارية او غير جارية . لست ادري .

وبقي لي سؤال :

لماذا لم يترجم القرآن في العصور الاسلامية الاولى ... في عصر المأمون مثلا ! او غير ذلك من العصور ؟..

ان حركة الترجمة في الشرق قد بدأت قبيل ظهور الاسلام وفي ابانه وبعد الفتح .. فقد ترجم الفرس في عهد الدولة الساسانية كثيرا من كتب الهند والاغريق الى اللغة الفهلوية . واعيد نقل كثير من هذا الكثير من الكتب الى اللغة العربية في القرون الاولى للدعوة الاسلامية.. وخاصة في الحركة الواسعة التي نشط لها المأمون وعلماؤه ومترجموه .. فكانت الترجمة انذاك بدعة العصر (مودة الوقت) كما يقال . فلماذا لم يخطر على بال المترجمين ان ينقلوا القرآن الى لغات البلاد التي فتحوها ؟ ولماذا لم يخطر على بال علماء الشعوب المغلوبة التي دخلت الاسلام ، وكانوا متضلعين من اللغة العربية بقسط وفير ان يترجموا القرآن الى لغاتهم ؟.

ارى ان مرجع ذلك الى عدة اسباب اذكر منها ما يلي على سبيل التمثيل :

١ ــ انتشار الدعوة الاسلامية اثناء الفتح في اطار القومية العربية وداخل درع العصبية القومية . وقد ادى انتشارها بهذا الشكل الى سيادة لغة الفاتحين بما فيها القرآن ، مضافا الى ذلك عدم رغبة وعدم حاجة الفتح الى استمالة الذات المغلوبة في الشعوب المغلوبة لفلسفة الدعوة الجديدة الغالبة .

٢ ــ وقد يكون هذا السبب الثاني امتدادا او رد فعل للسبب الاول مع عامل ايجابي نبع من الشعوب التي اسلمت للفتح الاسلامي تخلصا من الطغيان والظلم الذي عانت منه على يد سلاطينها وطمعا بالعدالة والانصاف الذي بشرت به الدعوة الجديدة ، فكانت حاجة هذه الشعوب الى الفرار من لغة السلطان الجائر الى لغة النبي العادل الكريم تدفعها الى ان تتجه بنفسها الى تعلم لغة القرآن لتنهل تعاليمه من نبعه الاصيل .

٣ ــ كانت حركة الشعوبية ، رد الفعل المباشر للقوميات المغلوبة تجاه القومية العربية التي بدأت تتجبر على عهد الامويين ، عاملا كبيرا في عرقلة الترجمة الى لغاتها الوطنية . فالشعوبية طلاء ثقافي لحركات الانشقاق في البلاد المفتوحة . والشعوبيون من علماء دين ولغة وشعر وادب هم وحدهم الذين كان باستطاعتهم ان يترجموا القرآن الى لغاتهم الاصلية. والظاهر انهم اغفلوا ذلك عن قصد . او لم يكونوا (اذا صدق التاريخ ..) دعاة استقلال شعوبهم وانفصالها عن هذه الدولة الكبيرة التي تحمل القرآن بيمناها وتفاخر بقوميتها وعروبتها ؟

هذه على ما يبدو لي عوامل تاريخية كان لها اثر كبير في تأخير ترجمة القرآن في العصور الاسلامية الاولى .

اما لماذا لم يترجم ــ او بتعبير ادق تشتهر له ترجمات ــ في العصور الحديثة كما اشتهرت ترجمات العهدين الجديد والقديم الى معظم لغات الارض ؟

ففي رأيي ان ثمة عاملا خاصا ادى الى ترجمة الانجيل الى اللغات الاخرى بهذه السعة والكثرة ــ وان لم يكن بالروعة والبلاغة الممكنة ــ هو ظهور حركة الاستعمار بعد اكتشاف طرق التجارة العالمية وازدياد احتكاك شعوب العالم المسيحي بالبلاد الاخرى وحاجة هذه الحركة ــ اعني الاستعمار ــ الى نقاط ارتكاز آمنة مطمئنة في اسواقها الجديدة والى روح تفاهم واستقرار مع الشعوب الغريبة ..

وليس من الغلو في شيء ان قلنا ان انشار المسيحية قد واكب الى حد كبير انتشار الحركة الاستعمارية في القرون الاخيرة . وقد اعفى الله عباده العرب والمسلمين من ان يكونوا دولا استعمارية في العصر الحديث !

*

والترجمة الفارسية الجديدة التي انجزها الاستاذ ابو القاسم باينده اليوم عمل ثقافي بحت . فالمترجم معروف في الاوساط الصحفية والثقافية اكثر مما هو معروف فيالاوساط الدينية . فهو ليس شيخا ولا رجل دين . لقد سبق له ان ترجم كتبا سياسية وتاريخية وادبية واصدر مجلة اسبوعية كانت تنشر (صور غلاف) تثير احيانا غيظ رجال الدين في ايران . واتجاه المترجم في عمله هذا ليس سوى كرامة من كرامات الضجة التي تعيش فيها ايران في هذا العصر ، وفي هذه السنوات الخمس الاخيرة بالذات . اعني بها ضجة الترجمة ..وجنون الترجمة الذي دب في اجسام المثقفين الايرانيين في هذه السنوات الاخيرة فدفعهم دفعا الى ترجمة كل شيء من كل لغة ..

وكانت ترجمة ليست ككل ترجمة ..

ترجمة رائعة ، بارعة ، متقنة . فيها من الاصل العربي الكريم وحدته كانجاز فني كامل وفخامته ، بلاغته وجرسه واعجازه . وحتى غموضه المهيب الذي يقرع قلب الانسان ويذكره في كل خطوة بانه امام فن سماوي يسع المعلوم والمجهول في ثقة واطمئنان .

وقدم المترجم لترجمته الجليلة بمقدمة طويلة باذخة ، فيها من فنون السحر والجمال ، كما في السجاد الكاشي المعروف ، ضروب والوان .. وعجيب امر المقدمة ... لقد كتبت بلغة ذات فخامة خاصة. ولعمري لو اجتزأتعنها اسم صاحبها لما كنتتقدر انها كتبت بعد القرنالثامنالهجري. ولا شك عندي ان المترجم كان ، وهو يكتب مقدمته الكبيرة ، يمشي في غيبوبة عن نفسه وعن حاضره وعن بيئته التي تحيطه . وحتى عن لغته وادبه الحاليين .

وقد خيل الى انه يصطنع هذا الفن كما يصطنع صانع السجاد الكاشي الوانه وانساجه القديمة .. وكدت اخذ عليه ذلك التزمت .. ولكن ما ان اتيت الى نهاية الترجمة حتى وجدتني امشي معه تحت تأثير القرآن . مأخوذا بسحر القرآن . اسبح في صوفية عذبة واستغراق لذيذ . اتحدث معه بلغة الاولياء وانشد معه اناشيد العشاق الالهيين ..

اسمعوا هذه الموسيقى السماوية وهي تتصاعد من قيثارته اترجمها من ختام مقدمته :

الهي : لقد بذلت هذا المسعى من اجلك حسب. وحملت هذا النصب لافي نذرا قطعته معك . لقد وليت وجهي نحوك بعد ان صرفته عن كل ما سواك . لقد وضعت فيك رجائي . ولي من الطافك التي لا تحد والتفاتاتك الخفية التي تخص بها عبادك ، انتقع هذه الهدية القاصرة من سدتك العزيزة موقع القبول . فاحراز رضاك وانت الاله الذي لا يزال، مرتبة ما فوق المراتب .

الهي : هذا انت الذي اعلن على لسان مبعوثه الصادق الامين، ان ايما عبد من عبادك قرن بالغفلة وقطع الامل في عميم كرمك بالاتكال على ايما عبد عاجز من عبادك ، فضمان خسرانه في يديك . فما اصدقك وما اصدق نبيك الامين. فوعدك لا يخلف وليس من وعيدك محيص .

الهي : نور انفسنا باضواء هدايتك ، واخرجنا من ظلمات الاهواء والاهواس . واهدنا الى عالم الصفاء والاستغناء، الذي جعلته حريم عبادك الطائعين ...

فمن خلص اليك نجا مما سواك . وتلك موهبة الخالدين .

وهذه ترجمة سورة الفاتحة (الفارسية) انقلها هنا للقراء الذين يعرفون اللغة الفارسية ليتحسسوا جمالها كوحدة ويتبينوا براعة النقل وبلاغة التعبير .

بنام خداي رحمن رحيم

ستايش خدارا كه برودكار همكان رحمان ورحيم وفرما نرواي روز جزاست (جدايا) ترا ميرستيم وازتو ياري ميخواهيم مارا براه راست هدايت فرماي ، راه كسانى كه موهبتشان داده اي نه غضب شدكان وكمراهان .

ولقد قوبلت هذه الترجمة في ايران نفسها ـ وهذا مهم جدا ـ باهتمام واحتفال بالغين ، فكتب عنها وعن المترجم نفر من اساتذة الجامعة وعلماء اللغة العربية والدين ، والمترجمين والكتاب المعروفين ، بتقدير واعجاب، وعدها بعضهم احدى مفاخر الادب الفارسي .

*

وبظهور هذه الترجمة الناجحة ، وما قد يتبعها من ترجمات اخرى ارى ان القيم الروحية والمباديء الانسانية السامية في الاسلام ستدخل ايران من جديد . فتنفذ الى قلوب الايرانيين وهي اقوى وانفذ من اليوم الاول الذي دخلت فيه ومن ورائها السيوف والاسنة والحراب . وستجد لها مجالا اكثر خصوبة في النفوس المؤمنة لتقرأ دستور السلام والمحبة مباشرة ومن غير حاجز من نحو او صرف عجيب غريب

وبذا ستجد نفسها اقرب الى ملكوت الله وحب النبي واله وعشيره وقومه العرب ، فتحببهم بقلوبها بعد ان ركنت اليهم زمانا بلسانها . وتخضع ابدا ، وعن دراية ، للمثل العليا والمباديء الانسانية السامية التي جاء بها النبي العربي بعد ان ابت الخضوع طويلا للسيوف والاسنة والحراب ..

كاظمية ـ العراق — **علي اللقماني**

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢

*

الادارة

شارع سوريا ـ راس الخندق الغميق ، بناية الاسمر

*

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : جنيهان استرلينيان
او ٥ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات
في الارجنتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما
حوالة مصرفية او بريدية

*

الاعلانات

يتفق بشأنها مع الادارة

*

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣